(c) http://nidaulhind.blogspot.com

ISSN 0970-3713

ثقافة الهند

Vol. XLVII Nos. 1-4 1996

المجلد ٤٧ العدد ١-٤

١٩٩٦م

المجلس الهندى للعلاقات الثقافية

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

مجلة ثقافة الهند الفصلية

المجلد ٤٧ العدد ١-٤

١٩٩٦م

محتويات العدد

شخصيات

العلامة السيد مرتضى الحسينى البلغرامى
د/ مختار الدين احمد ٢٤ - ٣١

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

العلامة السيد مرتضى الحسيني البلغرامي

بقلم : الأستاذ مختار الدين احمد

لم تزل اوده محافظة من الهند نبغت فيها شخصيات كبيرة و ما زالت مركزا ثقافيا كبيرا منذ زمن طويل و لم تزل مكانتها العلمية معترفا بها منذ عصر الامبراطورريين الافغانيين الى انهيار المغول بل الى ذروة حكم الانجليز. و كان عصر السلاطين الشرقيين لهذه المحافظة نافعا و ميمونا الى حد كبير. ووقتئذ، فضلا عن المدن ، كانت قصبات اوده تتلألأ بأنوار العلوم والفنون و كان ينزل بها الناس شوقا الى العلم و يستفيضون من علمائها الكرام من أقصى أرجاء العالم. وكم من عالم و اديب نبع من تلك الارض و لمع في افق العلم كالنجوم. ونخص بالذكر الشيخ احمد بن الحسن القنوجي من قنوج، و القاضي مصطفى علي خان و القاضى ارتقا على خان و محمد علي والاجاه من غوبامئو، و العلامة حمد الله السنديلي، وابو العباس احمد بن علي السنديلي، واحمد بن عبدالله السنديلي من سنديله، و الملا قطب الدين الشهيد، و الملا نظام الدين، و بحر العلوم مولانا عبد العلي من سهالي، و مولانا فضل امام خيرآبادي، و مولانا فضل حق خيرآبادى و شمش العلماء عبد الحق خيرآبادي من خيرآباد، والملاجيون من اميتي.

ومن تلك القصبات قصبة تعرف بـ "بلغرام" التي أنجبت كثيرا من الشعراء و الادباء البارزين و العلماء و الكتاب ذوي مكانة عالية و درجة رفيعة. وكان منهم السيد غلام علي آزاد البلغرامي، الخبير باللغتين العربية والفارسية و آدابهما، و مير عبد الجليل البلغرامي، الشاعر و الكاتب، والعلامة السيد مرتضى حسيني البلغرامي باحث التاريخ الاسلامي والثقافة الاسلامية، قد طار صيته في اقصى العالم.

To: www.al-mostafa.com

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

تاريخ بلغرام قديم جدا، نزل بها القاضي محمد يوسف غازروي، أحد قادة قوات السلطان محمود الغزنوي مع الجيش الملكي في العشرة الاولى من القرن الخامس الهجري، وحكم بها بعد ان هزم أهاليها و قد توطن ببلغرام بعض القبائل الأخرى من ذلك الجيش. و دخل المسلمون بلغرام مرة ثانية في عصر السلطان شمس الدين التمش (٦٠٧-٦٢٢) و فترة حكومته تمتد على النصف الأول من القرن السابع الهجري. و في النصف الآخر من هذا القرن انضمت بلدة بلغرام الى حكم دهلي المعروف بـ "دهلي سلطنت" بعد انتصارات جيش شهاب الدين غوري المتواصلة.

السيد محمد مرتضى حسيني ينتمي الى اسرة واسطي، و حسب ما رواه غلام علي آزاد البلغرامي كان جده الكريم السيد محمد صغرى واسطي دخل بلغرام فاتحا و جعلها مستقرا له وبالتالي توطن بها. و بعدئذ أنجبت تلك العائلة عددا من العلماء و الادباء البارزين،منهم السيد مرتضى حسيني البلغرامي أيضاء ولد سنة ١١٤٥ه و تلقى التربية و التعليم الابتدائي في بلغرام. و كان ابن اثنى عشر سنة فقط وقتما يدرس على الشيخ صفة الله خير آبادي (المتوفى ١١٥٧ه) و تعلم المعقولات من العلامة احمد بن علي السنديلي، ماهر المعقولات والمنقولات ثم ارتحل لطلب العلم الى اله آباد وكانت مركزا للعلماء حينداك. وتلمذ هنا لدى الشيخ محمد فاخر بن محمد يحي العباسي المتخلص بـ "زائر" (المتوفى ١١٦٤ه) ثم وصل اكبر آباد ودرس هنا كتبا على الشيخ يسين عباسي. و سافر السيد مرتضى من هنا الى دهلي، مركز العلم و الفضل في ذلك الزمان، و استفاد من النابغة العبقري الشيخ ولي الله المحدث الدهلوي، صاحب "حجة الله البالغة" (المتوفى ١١٧٦ه) و المحدث الكبير العلامة نورالدين محمد القبوي (م:١١٦٠ه) ولم يكن عمره حينذاك الا ١٥ سنة فقط وبا لتالي انتقل من دلهي الى سورت حيث كان العلامة خيرالدين محمد شاهد السورتي (المتوفى ١٣٠٦ه) أحد التلامذة النبلاء للمحدث الكبير العلامة محمد حيات السندي، واقام هنا سنة كاملة و تلقى منه العلوم والفنون.

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

ولكن ظمأه المتزايد للعلم حثه على زيارة البلاد العربية و تلقى العلم من علمائها فارتحل الى اليمن سنة ١١٦١ هـ، و اقام في زبيد التي كانت قد احرزت مكانة رفيعة و درجة عالية في العلم و المجد. فدرس كتبا على الشيخ احمد بن محمد مقبول الاهدل الذي كان يعد مركزا للعلم و الفضل بين علماء اليمن و درس كتبا من الحديث على الشيخ رضي الدين عبد الخالق الزبيدي(م: ١١٨١هـ) واكتسب منه الفيوض العلمية.

وسافر من اليمن الى الحجاز وهكذا سنحت له فرص للاستفادة من علماء الحرمين الشريفين و حينما نزل بالطائف سنة ١١٩٢هـ، قرأ الكتب الفقهية على الشيخ عبد الله الطائفي ودرس عليه مؤلفاته. و قرأ هناك الرسالة التي كتبها عبدالله بن ابراهيم علي حسن الحسيني الطائفي درسا درسا و قرأ "مختصر السعد" على العلامة عبد الرحمن العيدروسي في مكة المكرمة زاد الله شرفها واكتسب الفيوض العلمية في المدينة المنورة من شيخها العالم العبقري عمر بن احمد بن عقيل الحسني، و درس اجزاء من "القاموس المحيط" ، المعجم الشهير لمجد الدين الفيروزابادي على الشيخ أبي عبدالله محمد بن محمد الشرفي الفاسي(المتوفى ١١٧٠هـ) في تلك الارض المقدسة، ومن المحتمل انه خطر بباله آنذاك أن يكتب شرحا للقاموس.

ثم رجع من الحرمين الشريفين إلى اليمن سنة ١١٦٥هـ أوفى أوائل سنة١١٦٩هـ، والآن اشتد شوقه الى مصر، فسافر اليها سنة ١١٦٧هـ وبالتالي بلغ منزلة رفيعة من العلم ولم يعد يحتاج الى المزيد من العلم ويقضي اوقاته في تاليف الكتب ولم يكن يدرس الا قليلا ولم يتوقف من الاستفادة من استاذه الشيخ عبدالرحمن العيدروسي والشيوخ الاخرين.

وكان يزور أماكن مختلفة في مصر كدمياط و اسيوط والصعيد وغيرها ويشارك في مجالس علمائها و يستفيد من افكارهم الثمينة. وقام بسياحة روماء و قسطنطنية و البلاد الأخرى، و حيثما ذهب نثر لآلي العلم و المعرفة و أفاد كل من أتى اليه شوقا الى العلم وأعطى عددا منهم الاجازات.

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

و انشغاله بالدرس و التدريس و تاليف الكتب لم يسمح له باختيار عيشة الزواج. و بعد وصوله الى هذه المرحلة من العمر حطر بباله أن يبحث عن ملجأ للراحة و الهدوء فنكح زبيدة بنت الشيخ ذو الفقار الدمياطي سنة ١١٧٤ هـ وفقا لقول الدكتور شيال و لكن مؤرخا مصريا يقول ان تاريخ نكاحه هو ٧ شعبان المعظم ١١٨٢ هـ و هو اقرب الى الصواب.

وأم الفضل كانت زوجة صالحة زاهدة تتحلى بالعلم و المعرفة أيضا والدليل على ذلك أن العلامة البلغرامياذطلب اجازة من شيخه فطلب منه ان يمنح اجازة لزوجته أيضا. و الشيخ البلغرامي حزن كثيرا على وفاة زوجته سنة١١٩٦هـ و يظهر حزنه و قلقه هذا من أبياته التي قرضها على وفاتها.

ونكح ثانيا عندما الح الأحبة فى اصرارهم على ذلك لكى يملأ الفراغ الذي حدث في حياته بعد وفاة زوجتها، ولكن الزوجة الثانية لم تصاحبه طويلا وانتقلت الى رحمة الله مصابة بمرض الطاعون سنة ١٢٠٥ هـ.

ومن المصادفة الغريبة أن العلامة أيضا توفي مصابا بنفس المرض ونفس السنة في يوم الاثنين من شهر شعبان، و حرمت أرض مصر بل العالم الاسلامي كله من ضوء العلم .تغمده الله رحمة واسعة.

وكان الناس يعتقدون بأن العلامة السيد مرتضى حسيني مصري المولد و المنشأ و يتصور معظمهم بانه زبيدي لاقامته في اليمن ومصر الى مدة مديدة رغم كونه بلغراميا و هنديا.

ومازال يدرس بتلك البلدان الى زمن مديد و حصل كثير من الناس على اجازات منه حتى لم يعرف عامة الناس بأنه كان بلغراميا ولم يصرح تلميذ عبدالرحمن الجبرتي في تاريخه الشهير بانه هندي و بلغرامي. وكل ماكتب عنه هو: " نشأ ببلاده و ارتحل في طلب العلم و حج مرارا" . و يكتب جرجي زيدان العبارة الآتية: هو ابو الفيض الشهير بمرتضى الحسيني الزبيدي، نشأ باليمن و ارتحل في طلب العلم ثم جاء مصر سنة كذا و كذا".

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

وقد انكر المحقق البارز الاستاذ عبد الستار احمد فراج في الطبعة الجديدة لتاج العروس (طبع كويت) في مقدمتها كون العلامة هنديا وبلغراميا قائلا: " لا نجد نصا واضحا في كلامه يدل على أنه من الهند".

و ازعج هذا الخبر استاذنا العلامة عبد العزيز الميمني رحمه الله فطلب الى تلميذه الدكتور السيد محمد يوسف ـ رحمه الله ـ أن يرد على هذا الدعوى ردا شديدا فكتب : " المرتضى كالمهند لاينكر معرفة" و ذلك في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (المجلد٤٧/ ٤٧٠)

وقد كتب النواب صديق حسن خان القنوجي ـ رحمه الله ـ القول الحق في " ابجد العلوم " : " و قد أقام رحمه الله بزبيد حتى قيل له الزبيدي، واشتهر بذلك و اختفى على اكثر الناس كونه من الهند ومن بلغرامها".

ومن بواعث الارتياح أن بعض العلماء العرب يعرف هذه الحقيقة، فكتب العالم الشهير و خبير المخطوطات الاستاذ عبد الحي الكتاني في كتابه " فهرس الفهارس" حيث يذكرعن العلامة: " الواسطي العراقي أصلا، الهندي مولدا، الزبيدي علما و شهرة، المصري وفاة، الحنفي مذهبا، القادري ارادة، النقشبندي سلوكا، الاشعري عقيدة،هكذا يصف نفسه في كثير من اجازاته التي وقعت عليها بخطه . و أصله من بلغرام قصبة على خمسة فراسخ من قنوج، واشتغل على المحدث محمد فاخر بن يحي اله آبادي، الشاه ولي الله الدهلوي لسمعه عليه الحديث و اجازه ثم ارتحل لطلب العلم فدخل زبيد،،.

ولم يعرف عدد مؤلفات العلامة البلغرامي على وجه التاكيد وقد ذكر في خاتمة كتابه " تاج العروس" . و" فهرس الفهارس" للعلامة الكتاني مفيد جدا في هذا الصدد. ويوجد ذكر عدد من مؤلفاته في كتاب الدكتور شيال "الحركات الاصلاحية"،وقد كتب الاستاذ عبد الستار احمد فراج عن كتبه بأنها تبلغ الى ١٠٧، أما الاستاذ ابو محفوظ الكريم المعصومي فيقول بأن عدد مؤلفاته ١٦٠ وربما يزيد عنه.

ومن مؤلفاته " تاج العروس" و " انصاف السادة المتقين" كتابان ضخمان، ورسائله الوجيزة، و شهادات اجازاته ايضا، بعضها مطبوعة

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

وبعضها من المخطوطات. فالمطبوعات صدرت في الهند والدول الاسلامية كما صدرت في أوربا، أما الكتب التي لم تصدر الى الآن فهي محفوظة فيمكتبات الهند والشرق الاوسط و أوربا. وقد ورد ذكر معظم مؤلفاته في كتبه الأخرى و المصادر والمراجع ولكن لا يعرف وجودها في مكان ما.

ويذكر بين المخطوطات بعض كتبه الهامة مثلا"اسانيد الكتب الستة" (محفوظ في مجموعة برلين)، " اما لي الشيخونية" (بخط المؤلف كتبه سنة ١١٩٠هـ، برلين)،"قلنسوة التاج في بعض احاديث صاحب الاسراء والمعراج"(ألفه سنة ١١٨٢هـ،برلين)، " المنح العلية في الطريقة النقشبندية"، "الاجازة لكمال الدين احمد افندي"، (محفوظة في مجموعة برلين)، و " غاية الابتهاج"، و" تحفة القماعيل فى مدح سيد العرب اسمعيل"(بخط المؤلف)، و"القول المثبوت في تحقيق لفظ التابوت"، و"رسالة في احاديث تتعلق بفضل يوم عاشورا"(بخط المؤلف) توجد فيدار الكتب بالقاهرة، " ايضاح المدارك عن نسب الحوائك"، و " بذل المجهود في تخريج شيبتنيهود"، و " تخريج احاديث الاربعين النووية"، و" التعليقة الجليلة بتعليق مسلسلات ابن عقيلة"، و" عقد الجمان في أحاديث الجان"، و " معجم شيوخ العلامة الاجهوري شيخ القراء بمصر، واجزاء من مؤلفاته الأخرى و امالي و اجازات توجد في مكتبة شخصية للعلامة عبد الحي الكتاني الذي ذكرها في كتابه " فهرس الفهارس" و يذكر المستشرق الالماني بروكلمان الشهير في كتابه" تاريخ آداب اللغة العربية" عدة نسخ من " سفينة النجاة" (بخط المؤلف)، " عقد الجمان" و " عقد اللآلي المتناثرة"، و " المواعظ الحسنة في وداع شهر رَمضان المبارك " ، و"نشوة الارتياح في بيان حقيقة الميسر والقداح " و فى مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت كتابان وهما "عقود الجواهر المنيفة" و"معجم المشائخ".

وتوجد نسخ من مؤلفات العلامة السيد مرتضى حسيني البلغرامي في الهند أيضا فيوجد في مكتبة ندوة العلماء "شعب الايمان" ، و " القول المسموع في القرآن بين الكوع و الكرسوع" و " مجموعة الرسائل" و الكتاب الأخير كتب بخط يد النواب صديق حسن خان القنوجي. وفي الجمعية

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

الآسيوية بكلكوتا ارجوزتان و بعض رسائله الأخرى محفوظة في مكتبة عليكره .

ومن كتب العلامة البلغرامي المطبوعة " تاج العروس" الذى يحضى بمكانة عالية و أهمية كبيرة وهو شرح مفصل ثمين لـ" القاموس" ، المعجم العربي الشهير لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي وقررت المطبعة الوهبية المصرية اصداره و لكن لم يطبع الا خمس مجلدات الى حرف "العين"، و الكتاب الكامل صدر بعدئذ في مصر في عشر مجلدات ضخمة والآن تقوم حكومة الكويت باصدار ذلك الكتاب بطبعة نفيسة جديدة، قام بتزيينها و تنقيحها عبد الستار احمد فراج و عبد السلام محمد فاروق والعلماء الأخرون ، وقد اصدر الى الآن نحو٢٢مجلدا.

و فاق "تاج العروس " أهمية و مكانة كتب المعاجم العربية و لا غرو في ذلك فان العلامة البلغرامي كان ينظر بدقة في كتب المصادر الهامة التي يصل عددها الى١١٠مصادرا، وذكرها في مقدمة الكتاب وهذه كانت مخطوطات نادرة في فنون اللغه و آدابها تملك يداها. و لم يطبع بعض منها حتى الآن وبعضها نفد من العالم ، و لذا فان " تاج العروس" يعتبر حقا أهم المعاجم العربية و هو ثمرة مجهوداته المكثفة التي امتدت على١٢ سنة(١١٧٥ - ١١٨٦)وبعد انتهاء التاليف ما زال العلامة يضيف و يستدرك الى سنة١١٩٢هـ.

و الكتاب الاخر الهام هو: " اتحاف السادة المتقين"، شرح مفصل لـ"احياء علوم الدين" للغزالي، الذي صدر في فاس في ٢٠ مجلدا سنة ١٢٠٤هـ وصدر نفس الكتاب مرة ثانية في مجلدات ضخمة في مصر، وصدر في مصر أيضا " بلغة الاريب" سنة ١٢٧٦هـ، و " تنبيه المعارف البصير " سنة ١٢٢٢هـ و رسالة" حكمة الاشراق" سنة ١٩٥٤م وقد رتب الأخير الاستاذ عبد السلام محمد هارون ثم قام باصداره . و صدرت" نشوة الارتياح في بيان حقيقة الميسر و القداح" في ليدن سنة١٢٠٢هـ، ونسخهما توجد في برلين و القاهرة.

وفي الهند أيضا صدرت كتبه المتعددة فأصدر النواب صديق حسن خان " الازهار المتناثرة" بعد اختصاره ، و قام الشيخ احمد الجاسر باصدار

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

" هدية الاخوان في حكم شرب الدخان" في مجلة " العرب" سنة ١٩٧٦م (الجزء الاول والثاني، ص: ١١٤)

هذه نبذة وجيزة عن مؤلفات العلامة البلغرامي و محرراته نثرا ونظما فلم يكن باب الشعروالنظم مغلقا عليه فتوجد رسائل منظومة له فضلا عن أبياته التي زين بها عباراته و منها :" الدرة المضيئة و الوصية المرتضية" الذي يشتمل على ٢٢٠ بيتا و" المقاصد الهندية في المشاهد النقشبندية" و فيها١٥٠بيتا. فقد رتب البرفسور ابو محفوظ الكريم معصومي هذين الارجوزين استنادا على نسخ الجمعية الآسيوية وقد تم نشرهما في مجلة المجمع الهندي(المجلد : ٥٠/يونيو ١٩٨٠م). ويتبين من دراسة هذه الرسائل المنظومة و أبياته المختلفة ان العلامة كان يملك قدرة لابأس بها لنظم الشعر.

ولما طار صيت العلامة البلغرامي في أرجاء العالم ، كتب السلطان عبد الحميد خان رسالة من قسطنطنية اليه و طلب فيها اجازة" الحديث المسلسل" ومروياته الأخرى فارسل العلامة اليه الاجازة عام١١٩٢هـ و معها قصيدة عينية في مدح السلطان و كانت في مطلعها الأبيات الآتية:

سقى الله ريعا كان لي فيه مربعا ... ومغني به غصن الشبيبة اينعا
و حيا مقاما كان لي فيه حيرة ... بهم كان كاسي بالفضائل مترعا
خليلي مالي كلما لاح بارق ... تكاد حصاة القلب أن تتصدعا
وان نسمت ريح الصبا من ديارهم ... بكت عيني دمعا بساحل ادمعا

كما تجدر بالقراءة أبياته التي قرضها على وفاة زوجته ام الفضل زبيدة سنة١١٩٦هـ:

خليلي ما للانس اضحى مقطعا ... وما لفؤادي لا يزال مروعا
امن غير الدهر المشت و حادث ... الم برحلي ام تذكرت مصر عا
وألا فراق من أليفة مهجتي ... زبيدة ذات الحسن والفضل أجمعا
مضت فمضت عني بها كل لذة ... كماشربت لم يجدعن ذاك مدفعا
فمن مبلغ صبحي بمكة انني ... بكيت فلم اتركه لعيني مدمعا

تعريب : رياض الدين مبارك